ورقة علمية مقدمة لندوة

المسارات الثقافية في قطر

15 فبراير 2020

مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية

حضور الثقافة الدينية في الشعر القطري

د. أحمد طعمة حلبي[1]

مقدمة:

يقول محمود محمد شاكر

[2]

: "رأس كل ثقافة هو الدين بمعناه العام،والذي هو فطرة الإنســـان،أي دين كان،أو ما كان في معنى الدين.وبقدر شمول هذا الدين لجميع ما يكبح جموح النفس الإنســـانية ويحجزها عن أن تزيغ عن الفطرة

[1] أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية بجامعة قطر،نشر أكثر من أربعين بحثاً ودراسة منها المحكّم ومنها الثقافي، في مجلات عربية ودولية.وحقّق أكثر من خمسة كتب تراثية.صدر له من الكتب: (المفاهيم الجمالية في الشعر العباسي)،2006م.(التناص بين النظرية والتطبيق) 2007م.(أساسيات علم المعاني)، 2009م.(القيم الجمالية في الشعر القطري) 2016م.و(المأسوي والهزلي في الشعر القطري)، 2019م.عضو في اتّحاد الكتّاب العرب بدمشق،وعضو اللجنة الاستشارية في مجلة كيرالا العلمية المحكّمة منذ عام 2015م،وعضو الجمعية السورية لتاريخ العلوم عند العرب.شارك بحوالي عشرين مؤتمراً دولياً متخصصاً عربيا ودوليا، أشرف على عدد من الرسائل العلمية (الماجستير) في جامعة حلب،ناقش عدداً من رسائل الماجستير في جامعة قطر.حكّم العديد من البحوث العلمية.حصل على جائزة الإبداع الفكري (الباسل) للعام 2008م.

[2] محمد شاكر، محمود، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص28.

السوية العادلة،وبقدر تغلغله إلى أغوار النفس تغلغلاً يجعل صاحبها قادراً على ضبط الأهواء الجائرة ومريداً لهذا الضبط،بقدر هذا الشمول وهذا التغلغل في بنيان الإنسان تكون قوة العواصم التي تعصم صاحبها من كل عيب قادح... وهذا الذي حدثتك عنه ليس خاصاً بأمة بل هو شأن كل جيل من الناس وكل أمة من الأمم،كان لها لغة،وكان لها ثقافة، كان لها بعد تمام ذلك حضارة مؤسسة على لغتها وثقافتها".

والثقافة الدينية ثقافة أصيلة راسخة في وجدان الإنسان،ينشأ عليها وهو طفل،تغذي روحه،وتملأ وجدانه،ويمارسها وهو شاب،ولا يتخلى عنها وهو رجل أو كهل،بل يغدو أشد تمسكاً بها،وأكثر التصاقاً. والمسلم يتلو كل يوم خمس مرات آيات كريمات من التنزيل العزيز،كما يقرأ في القرآن الكريم آناء الليل وأطراف النهار،ويقرأ في حديث رسول الله،ويتعرف إلى أمور دينه،ليمارس العبادات الممارسة الصحيحة. وحتى المسلم المقصر في عباداته يلم بأمور دينه،ويتلو بعضاً من سور القرآن الكريم،أو يستمع إليه،ويظل مالكاً لقدر من الثقافة الدينية،سواء قلّ هذا القدر أو كثر.

فالثقافة الدينية ظاهرة أساسية في المجتمع،وهي تتسرب في كلام الناس وأحاديثهم،وتحضر في أشعارهم وقصصهم،بصورة مباشرة أو غير مباشرة.وتساعد وسائل بعض الإعلام على نشر هذه الثقافة،وترسيخها، مثلما تساعد بعض وسائل الإعلام الأخرى على تغييبها ونسيانها،ولكنها في الحالات كلها تظلّ حاضرة، حتى عند الذين هم بعيدون عن الدين.

البحث:

ولذلك كان من الطبيعي أن تحضر الثقافة الدينية في الشعر القطري،بل إن حضورها واضح ولافت للنظر.وليس المقصود بحضور الثقافة الدينية هنا ما كتب من قصائد في مدح رسول الله والتوسل إليه،أو ما قيل في الإشادة بالإسلام والرد على خصومه،أو ما كتب في مناسبات دينية،أو ما كتب في التوبة والرجوع إلى الله والاستغفار والدعاء،فهذا شعر ديني خالص،وإنما المقصود أن يكون للمعاني الدينية حضور،أو أن

يكون التعبير عن المعاني العادية من خلال معان دينية،أو ما يكون من حضـور لألفاظ دينية ولو في سـياق غير ديني.

ولهذا الحضور الثقافي في الشعر القطري دلالته على الروح الدينية السائدة في المجتمع،وعلى تشبع الشاعر القطري بالثقافة الدينية،حتى إنها لتظهر في تضاعيف أشعاره سواء قصد إلى ذلك أم لم يقصد.

ومن الطبيعي أن يكون الحضـــور الأكبر هو للثقافة المبنية على القرآن الكريم،فالمســـلم يتلوه آناء الليل وأطراف النهار،ويســتمع إليه، ويعيشــه في واقعه،أو هو على الأقل يســتمع إليه،ولذلك يكون له الحضــور الأول في الشعر القطري.

وتتوشح بالمعاني الدينية كثير من القصائد في الشعر القطري،ومن ذلك على سبيل المثال قول الشاعر **محمد السادة**[1]:

تهوى الســـجودَ جباهٌ وهي شـــامخةٌ والقلـب من حســـد للمؤمنين بريءُ
نحو المســـاجد بالأســـحار ســـيرُهُمُ خطاهم سُـــرج وســـط الظلام تضـــيءُ

فالشـاعر يصـف المسـلمين الأتقياء،الذين يعبدون الله حق العبادة، فجباههم له سـاجدة،وقلوبهم من الحســـد والحقد والضـــغينة خالية،وهم يتوجهون إلى المســـاجد وقت الســـحر،ليتهجدوا،ثم ليؤدوا صـــلاة الفجر،وخطواتهم نحو المسجد نور ينفي ظلام الليل.

وفي الحقيقة ليس هذا هو المقصـود بحضـور الثقافة الدينية في الشـعر،فالثقافة الدينية هنا هي موضـوع القصيدة، إنما المقصود بحضور الثقافة الدينية أن تكون جزءاً في النص،وأن تكون وسيلة للتعبير،لا أن تكون موضوع القصيدة.

[1] السادة، محمد، بوح الحشا، ص 105.

ومن ذلك على سبيل المثال دعوة الشاعر محمد السادة إلى الأخلاق القويمة،ومنها برُّ الوالدين،وعدم رفع الصوت في حضورهما،والصبر على المصائب وما يكون من عسر،فاليسر قادم لا محالة،وفي ذلك يقول:[1]

ووالداكَ اخفضِ الأصوات عندهما وابسط جناحك تلقَ الأجرَ في عِظمِ

واصبر على الدهر إنْ عاداك في جَلدٍ فإن يُسْرَيْنِ بعد العسر فاغتنمِ

فالشاعر ينصح الشاب أن يخفض صوته في حضرة والديه،وأن يتواضع أمامهما،وألا يعلو عليهما، وألا يغلظ لهما في القول. كما يحض الإنسان بصورة عامة على الصبر على مصائب الدهر،ويؤكد له أن بعد الضيق فرجاً،بل يؤكد أن الله قد جعل مع العسر يُسْرَيْنِ.

وفي البيت الأول يحضر التأثر الثقافي بالمعنى في الآية الكريمة في قوله تعالى[2]: وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً (24).وفي البيت الثاني يحضر التأثر الثقافي بالمعنى في الآية الكريمة في قوله تعالى[3]: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (6).

والشاعر يصوغ معنى مستوحى من الآيتين الكريمتين ولا يأخذ بالأسلوب القرآني،إنما يكتفي بحضور معنى مستوحى من ثقافته القرآنية،أي إنه لا يقتبس أياً من الآيتين،وإنما يكتفي بالإشارة إلى شيء من المعنى الذي في كل منهما.

---

[1] السادة، محمد، كثبان وأمواج، ص 41.

[2] القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآيتان: 23-24.

[3] القرآن الكريم، سورة الشرح، الآيتان: 5-6.

وهي إشـارة لطيفة، واضـحة،تعبر عن المعنى الذي أراد التعبير عنه،وتكسـبه وضـوحاً،وتمنحه بعداً دينيا، تجعله أكثر تأثيراً في المتلقي.

ويشير الشاعر محمد السادة أيضاً إلى خلق الإنسان،وما منح الله الإنسان من معرفة، فيقول:[1]

تلـك القلوب حبـاهـا الله معرفـة بالســـر في خلقهـا من دفقـة مـاء

ويحضـر في البيت معنى لطيف من قوله تعالى في محكم التنزيل[2]: فَلْيَنظُرْ الإِنسَـانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّـلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7).والمعنى الحاضـر في البيت بشـكل جزئي،يقوم على الإشارة اللطيفة إلى الآية،وهي إشارة واضحة مباشرة، وهي تحرض ذاكرة المتلقي،وتجعله يتذكر الآية الكريمة، فيكتسب المعنى قيمة دينية جميلة ذات تأثير قوي في النفس.

ويشير الشاعر إلى رعاية الله للإنسان من شر الحاسدين، فيقول[3]:

رعـاك إلـه الكون من كـل بالسٍ ومن عُقدٍ نفثت عُراها الأعاديا

فالشاعر يدعو الله أن يحفظ الممدوح في القصيدة من شر إبليس،وأن يحميه من شرور الأعداء الذين هم كالسـاحرات اللواتي يعقدن العقد وينفثن فيها،ظانات أنهن سـيؤذين الناس،والشـاعر يعيذ ممدوحه بالله من شر هؤلاء الأعداء ومن كيدهم ومن سحرهم.

---

[1] السادة، محمد، كثبان وأمواج، ص 68.

[2] القرآن الكريم، سورة الطارق، الآيات: 5-7.

[3] السادة، محمد، كثبان وأمواج، ص 66.

وواضح ما في البيت من حضور معنى الآية الكريمة[1]:وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4)، وهو معنى جزئي دل عليه لفظ عقد،وهو حضور مباشر، يعزز المعنى ويقويه،ويجعله أكثر تأثيراً في نفس المتلقي.

ويتكلم الشاعر **علي ميرزا محمود** على علاقة العرب بالغرب، وتلاعب الأوربيين ببلاد العرب، فيقول[2]:

بلادنا بين أيـديهم فكيف لنـا أن نسـتجير من الرمضـاء باللهب

أليس فـينا من الـدهـماء عـاقـلـةٌ لهـا تفزُّونَ يومَ الخَطْـبِ والنُّوَبِ

والشـاعر في البيت الثاني يسـخر من العرب فيتسـاءل: أليس في الأمة كلها امرأة عاقلة يلجؤون إليها ليسـتشـيروها ويسـتعينوا بها على حل أمورهم، وكأنه قد عزَّ أن يكون في الرجال من هو عاقل، ولذلك يصفهم بالدهماء.

والمعنى مسـتوحى من قوله تعالى عن نبيه لوط[3]: وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّـيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِي فِي ضَـيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِـيدٌ (78)، فقد زار لوطاً ثلة من الملائكة في هيئة رجال فأسرع إليه قومه يريدون فعل الفاحشة في ضيفه،فقال لهم قولته:"أليس فيكم رجل رشيد؟"، فهو يستنكر عليهم عملهم، ويطرح عليهم ذلك السؤال.

---

[1] القرآن الكريم، سورة الفلق، الآية 4.

[2] ميرزا محمود، علي، إلى من يهمه الأمر، ص 15.

[3] القرآن الكريم، سورة هود، الآية 78.

فالشاعر يستوحي من القرآن الكريم فكرة تتلخص في ضرورة وجود رجل عاقل رشيد في المجتمع،يلجأ إليه الناس في الأزمات.وهذه الفكرة القرآنية ذات تأثير كبير في النفس،وقد استوحاها الشاعر ليعبر عن دهشته لغياب امرأة عاقلة في المجتمع،يفزع الناس إليها عند المصيبة،وهذا يدل على هول هذه المصيبة، واستيحاء الفكرة من القرآن الكريم يجعل المعنى في البيت أكثر قوة وأشد تأثيراً.

ويمدح الشيخ **علي بن سعود آل ثاني** أسرة كريمة فيقول[1]:

جاء يسعى يبتغيكم قاصداً بيتَ عزٍّ وشروقٍ وسفرْ

فيه خيري ونعيمٌ وافرٌ فيه حبي وكليمي مستتر

فيه شوقي وميولي كلها فيه بؤسي وشقائي منقعر

إن عهدي في هواكم صادق لا تدعني كالهشيم المحتظر

والشاعر في الأبيات السابقة يتوجه بالمديح إلى أسرة كريمة، ويذكر أنه جاء قاصداً بيت كرم وجود، ويؤكد أنه سيجد فيه الخير والنعيم،كما سيجد فيه الستر لجراحه الصغيرة،التي عبر عنها بلفظ كليمي،كما يؤكد أن شقاءه كله سيزول بزيارتهم لهم،وسيصبح هذا الشقاء مثل جذوع شجر قد يبس،وأخيراً يلح في رجاء العون،ويتمنى ألا يترك مثل الورق الأصفر الذابل أو الهشيم الذي يسوقه الزارع إلى الحظيرة.

ففي الأبيات السابقة تحضر الثقافة الدينية من خلال بعض المعاني والمفردات القرآنية،وهي:منقعر، والهشيم المحتظر؛فالشاعر يصف شقاءه بمنقعر،أي زائل ولا يبقى منه شيء بفضل الأسرة التي يقصدها،

[1] آل ثاني، علي بن سعود، غدير الذكريات، ج1، 118.

ويرجو صاحب الفضل ألا يتركه مثل الهشيم الذي يجمع ويحفظ في الحظيرة.ولفظ منقعر مستمد من قوله تعالى في وصف قوم طغاة أخذهم ربهم بريح عاصفة[1]:تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (20)،ولفظ هشيم المحتظر مستمد من قوله تعالى[2]:إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (31)، والألفاظ في النص مستعملة بمعناها كما وردت في القرآن الكريم،ولكن في سياق آخر مختلف.

وهذا الحضور لمعاني القرآن الكريم وألفاظه ساعد على دعم المعنى المقصود،وجعله يصل إلى المتلقي في حلَّة بهية من كلام الله تعالى، ليكون تأثيره في النفس أقوى وأجمل.

وفي القصيدة نفسها يقول[3]:

لا تُطعه من عذولٍ حاسدٍ حين قفَّى فتمادى فعقرْ

والشاعر يتوجه بالقول إلى صاحبه ويرجوه ألا يصيخ السمع إلى كلام إنسان حسود مبغض،لأن هذا الحسود قد تمادى في الكلام،وأغرق في الحقد والحسد،واستمر في البغض والحسد،وقد أساء أيما إساءة، وكأنه في فعله هذا قد ذبح ناقة عن فسوق وأذى وعصيان.

والشاعر بذلك يرسم صورة جد قبيحة لهذا المبغض الحسود،وكل ما يرجوه من صاحبه ألا يصدقه وألا يطيعه.

والفعلان (فتمادى فعقر) يدلان على حضور الثقافة الإسلامية،فهما مستمدان من قوله تعالى[4]: فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (29)، والآية الكريمة تحكي عن عصبة المجّان من قوم صالح الذين عقروا

---

[1] القرآن الكريم، سورة القمر، الآية 20.

[2] المصدر السابق، الآية 31.

[3] آل ثاني، علي بن سعود، غدير الذكريات، ج1، ص 117.

[4] القرآن الكريم، سورة القمر، ص 29.

الناقة،وجرى استعمال الفعلين بمعناهما اللغوي الوارد في القرآن الكريم،ولكن في سياق مختلف،وبأسلوب مجازي.

وبذلك يجعل الشاعر المعنى الذي أراد التعبير عنه قوياً وواضحاً،وله تأثير عميق في نفس القارئ،فما أشبه ذلك المبغض الحاسد الحقود بذلك الفاسق الفاجر الذي عقر ناقة نبي الله صالح،وجرَّ الدمار والهلاك على القوم،وفي هذا الحضور للثقافة الدينية ما يجعل صورة الشخص الحسود بغيضة كريهة،وبذلك يكون الحضور الثقافي قد أدى وظيفة بلاغية رائعة.

وترثي الشاعرة زكية مال الله أمها فتقول[1]:

وأَسري نحوك

أَعرُج فوق براقٍ من أشواق

تحملني أفواجُ ملائكةٍ

وتطوف بي فوق الأعناق.

وفي هذا الرثاء تحضر الثقافة الدينية بصورة فنية غير مباشرة،ولا سيما في الفعل أسري،وهو مستوحى من الآية الكريمة، يقول تعالى[2]: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)،كما تحضر الثقافة الدينية من خلال عروج الشاعرة إلى أمها على براق من أشواق،تحملها أفواج من الملائكة،وهي جميعاً معان تقوم على ثقافة دينية،مستوحاة من حديث الإسراء والمعراج.

[1] مال الله، زكية، من دونك يا أمي، ص 156.

[2] القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 1.

وفي هذا الرثاء معنى جديد، لا يقوم على الحزن والبكاء، بل يقوم على السمو والارتقاء، فالشاعرة تسمو إلى الأعلى، وترقى بروحها إلى الملائكة، والشاعرة تستحضر بذلك ما كان من إسراء المولى عز وجل بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعروجه إلى السماوات بعد وفاة زوجته خديجة، وكان له في الإسراء والمعراج السَّلوُ والمدد الإلهي والعون، وبذلك يكون المعنى المتضمن في القصيدة قد دل على إحساس الشاعرة بأن روحها قد سمت وارتقت ووجدت الصبر والسلوان،ويكون المعنى قد أصبح أكثر غنى وثراء،بالإضافة إلى مافيه من جدة، في الأسلوب والأداء،ومرجع هذا إلى حضور الثقافة الدينية.

وتستعين الشاعرة **زكية مال الله** بثقافتها الدينية لتعبر عن عمق حبها لحبيبها،فهو حب ضاربة جذوره في أعماق النشأة الأولى،منذ أن كانت مضغة في رحم أمها،بل منذ أن أخذ الله ميثاقه على ذرية آدم أن يشهدوا أنه ربهم،وفي ذلك تقول[1]:

أعرفك وتعرفني منذ كنت المضغةَ
في رحم الأمِّ

والكائنةَ بأفواج البشر

ولا أملك لنفسي نفعاً أو ضراً

إلا أن تحنو علي.

وهذان المعنيان الدقيقان مبنيان على حضور ثقافة دينية عمادها الآية الكريمة[2]: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

[1] مال الله، زكية، من دونك يا أمي، ص 37.

[2] القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية 172.

إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172)، والآية الكريمة[1]: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5).

والمعنى الذي عبرت عنه الشاعرة جديد،والأسلوب الذي أدت به المعنى أسلوب جديد،وهما معاً يرجعان إلى حضور الثقافة الدينية،ولا بد من الإشارة إلى أن هذا الحضور الثقافي قد أكسب النص الإحساس البهجة والتألق،والشعور بالسمو الديني والروحي.

ويكتسب الحب هنا قيمة عليا،فهذا الحب الذي جمعهما هو مقدر لهما منذ أن كانا في علم الله في الأزل،ومنذ أن أنشأ الله الخلق كله النشأة الأولى.

وتخاطب الشاعرة زكية مال الله الحبيب وترجوه أن يكون روحاً خلاقة مبدعة،تَهَبُ الكون كله الحب،وتعتمد في التعبير عن هذا المعنى على ثقافتها الدينية،فتقول[2]:

كنْ فيضَ الروح

وأمشجةً تتخلق في رحم الكون

وتُفرز بالأجساد عصارات

هي بعض رحيق القلب.

---

[1] المصدر السابق، سورة الحج، الآية 5.

[2] مال الله، زكية، دوائر، ص 37-38.

وهذا المعنى مستوحى من قوله تعالى[1]: إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً (2)،وكان قوامه لفظ أمشاج.

وحين تتألق في النص الألفاظ القرآنية فإنها سرعان ما تحرض ذاكرة المتلقي،وتجعله يستحضر الآيات الكريمات،فيكتسب المعنى روح القرآن الكريم،ويصبح النص سامياً راقياً،في اللفظ وفي المعنى على السواء.

ومن حضور الثقافة الدينية ما يظهر في قصيدة للشاعرة زكية مال الله عنوانها "اعترافات"،تقول في أحد مقاطعها: [2]

لا أعرف من أثقلني بالأغلال

أسكنني رقَّ التّرحال

أولَجني طيناً سجيلا

فأورقني عصفاً مأكولا.

وفي المقطع حضور ذكي وموفق لقصة أبرهة الحبشي التي أوردها القرآن الكريم،أو بالأحرى لفكرة العصف المأكول، على وجه الخصوص،وهو حضور غير مباشر،لكنه واضح،ويظهر من خلال كلمات من مثل: سجيل، وعصف مأكول،وهذا الحضور أغنى القصيدة.

وهو مستوحى من سورة الفيل وفيها يقول المولى تعالى[3]: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (5).

---

[1] القرآن الكريم، سورة الإنسان، الآية 2.

[2] مال الله، زكية، الأعمال الشعرية الكاملة، ج2، ص 23-25.

[3] القرآن الكريم، سوة الفيل.

إن الحب في النص الشـعري قد أشـعل الحياة في قلب الشـاعرة،وجعل الحياة تتحرك في الورق الأصـفر اليابس وهو الهشيم،فإذا هو مُورق، وبذلك اكتسب النص من لفظ العصف المأكول ذلك الغنى الجمالي، ولا سيما حين يتحول هذا العصف المأكول إلى ورق أخضر وإلى حياة جديدة.

وهذا يعني أن لفظ العصـف المأكول في النص الشـعري هو رمز لحياة الشـاعرة قبل الحب،ولكن بعد الحب ومع الحب أصـبح ذلك العصـف مورقاً،ومرجع هذا الرمز المدهش إلى الثقافة الدينية،وكان حضـوره موظفاً للتعبير عن معنى جديد.

ويتحدث الشـاعر **علي ميرزا محمود** عن خوف المواطن العربي من السـلطات الحاكمة بصـورة عامة،من غير تحديد،وعن مقدار طاعته لها، ويجعل حديثه على لسـان الإنسـان العربي،وهو يقول في قصـيدة عنوانها زمان الحرب[1]:

أيها السادة أصحابَ قرارِ الحرب

أربابَ السلام

نحن قوم أينما سرتم بنا نتبعكم مثلَ النَّعام

كتب الله علينا

وأطيعوا الله منكم وأولي الأمر

وها نحن أطعنا.

[1] ميرزا محمود، علي، أم الفواجع، ص 13.

ويحضر في النص معنى مستمد من قوله تعالى[1]: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَـــيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُـــولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (59)،والشاعر يعتمد على بعض ألفاظ الآية، ولكنه لا يأتي بها كاملة.

والمعنى في الآية الكريمة ســيق للدلالة على قيمة عليا ومثال يحتذى،وهي طاعة الله ورســوله،والشــاعر اســتعان بالمعنى،ولكنه وظفه في ســياق آخر مختلف،وهو الدلالة على طاعة المواطن العربي لحكومته،عن خوف،وهذا الحضور الثقافي الديني يجعل القارئ يأسف لضعف المواطن العربي،ويتألم لخنوعه،وبذلك يكون حضور الثقافة الدينية قد دعم الهدف الذي أراده الشاعر،وجعله يؤثر في القارئ.

ويتكلم الشــاعر علي ميرزا محمود أيضــاً على هموم العرب ومعاناتهم، في قصــيدة عنوانها "هموم"، وفيها يقول: [2]

فمَنْ في الوزر تحمل وزر أخرى

ومَنْ في الناس يحمل همَّ ثاني.

وهو بذلك يدلّ على أن العرب أنفسهم يتحملون المسؤولية عن واقعهم وما هم فيه،ولا يمكن أن يحمّلوا الآخرين المســؤولية،وفي تعبيره عن هذا المعنى يحضــر جانب من ثقافته الدينية مســتوحى من قوله تعالى في محكم التنزيل[3]: وَلا تَكْسِــبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (164)

---

[1] القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 59.

[2] ميرزا محمود، علي، أم الفواجع، ص 79.

[3] القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية 164.

وحضور المعنى القرآني في النص الشعري جاء في سياق مختلف في الدلالة،لينبه العرب،على أنه لا أحد يحمل عنهم المسؤولية،وعليهم أن يتحملوها وحدهم.

ويتحدث أيضاً عن الواقع العربي المؤل؛إذ لا يرى فيه رجالاً ينهضون بالمسؤولية،فيقول في قصيدة عنوانها "إني بكيت هواني"[1]:

أعجازُ نخلٍ خاوياتٍ هشةٍ

تذرو عليها الريح زَيف أماني.

وللتعبير عن المعنى الذي يريد تحضره صورة أعجاز النخل الخاوية،وهي مستمدة باللفظ من قوله تعالى[2]: وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7).

والصورة المستمدة من القرآن الكريم،وهي أعجاز نخل خاوية،تدل على حال العرب،وما آلوا إليه من انكسار وخيبة، والصورة مرعبة مخيفة،توحي بمعنى الدمار الكلي الشامل.

ويتحدث عن أعداء الأمة العربية،فيصورهم وهم يتجسسون في الظلام على الشعب،ويحسبون الشعب نائماً،ولكنْ لدى الشاعر حدس بأن الشهب بالمرصاد لأولئك الأعداء، ويعبر عن ذلك فيقول[3]:

ما أكثر من يسمَّعُ للملأ الأعلى

والليلُ ظلام

يحسَب أن لن يتبعه في هذا الليل

---

[1] ميرزا محمود، علي، أم الفواجع، ص 188.

[2] القرآن الكريم، سورة الحاقة، الآيتان 7-8.

[3] ميرزا محمود، علي، إلى من يهمه الأمر، ص 48.

شهابٌ ثاقب

والناسُ نيام

لكني والحقَّ أقول

أوجستُ كما أوجس موسى

يوم الميعاد

ما لستُ سوى طينٍ لازبْ

وأخاف من الوهج اللاهبْ.

وفي ذلك القول تحضـــر الثقافة الدينية حضـــوراً واضـــحاً،ففيه ظلال من ثلاثة مواضـــع من القرآن الكريم،وهي على التتالي،الأول قوله تعالى[1]: فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) والثاني قوله عز وجل[2]: فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ (11) والموضع الثالث قوله تعالى[3]: لا يَسَّـــمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (8) دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِـــبٌ (9) إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (10).

ويبدو حضـور الثقافة الدينية هنا كثيفاً ومباشـراً،ويقلل من الإحسـاس بالإبداع الشـعري،فالثقافة الدينية بارزة،وليست مندغمة في النص الشعري،ولا ملتحمة معه.

كما يتحدث الشاعر علي ميرزا محمود أيضاً عن تقصير العرب في نجدة الفلسطينيين،فيقول[4]:

---

[1] القرآن الكريم، سورة طه، الآية 67.

[2] القرآن الكريم، سورة الصافات، الآية 11.

[3] القرآن الكريم، سورة الصافات، الآيات 8-10.

[4] ميرزا محمود، علي، إلى من يهمه الأمر، ص 71.

يا أيهـا النـاس هـل فينـا لهم أحـد أعـد منـا رباطَ الخيـل يرهبـه

وفي البيت حضـور جزئي واضـح مسـتمد من قوله تعالى[1]: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْـتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ (60).

وحضـور الثقافة الدينية في هذا البيت بصـورة خاصـة حضـور ناتئ،ويبدو أنه جاء للوصـول إلى القافية، كما ظهر بلغة مفككة.

ويذكر الشاعر **خالد عبيدان** الحبيبة، فيمجّدها ويعظّمها، ويجعل هواها العروة الوثقى، فيقول[2]:

الـعـروة الـوثـقـى هـواهـا، ومـن يـدري هـواهـا غـير أعـراقـيـه

وفي البيت حضور ثقافي واضح يعتمد على قول المولى عز وجل[3]: وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ (22).

وتفتتح الشاعرة **زكية مال الله** مجموعتها الشعرية المعنونة بـ "من أسفار الذات"، بقولها[4]:

أيها الصرح المِمَرَّدُ من قوارير

أحسِبك لجةً

فاكشف عن أسراري

---

[1] القرآن الكريم: سورة الأنفال، الآية 60.

[2] عبيدان، خالد، سحابة صيف شتوية، ص 33.

[3] القرآن الكريم، سورة لقمان، الآية 22.

[4] مال الله، زكية، الأعمال الكاملة، ج 2، ص 7.

فالشـاعرة تناجي عالم الشـعر وفضـاءه الرحب وهي تريد الدخول إلى حرمه كي تعترف فتكشـف عن أسرارها،وفي هذا المفتتح حضور ثقافي مستمد من قوله تعالى عن ملكة سبأ[1]: قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44).

ويبدو الحضور الثقافي مدهشاً ومفاجئاً،وفيه تجديد، وهو يمنح النص صورة قوية التأثير،فإذا كانت ملكة سبأ قد كشفت عن ساقيها في قصرها، فالشاعرة كشفت عن أسرارها في ديوانها الشعري،والحضور الثقافي هنا ملتحم بالنص وليس مباشراً، وقد منحه حس الإدهاش.

وفي قصـيدة "غيم في جدران الليل" تجد الشـاعرة نفسـها في الخلق الأول في اللوح المحفوظ مجرد طين ظمآن،وقد جاء الحبيب ليمنحه حقيقة جسدها،ويمنحها الخصائص الأنثوية، ويجعلها الإنسان فتحس بذاتها فإذا هي تملك عينين وشفتين،ولكن الحبيب نفسه يسلبها ما منحها بالهجر والصد،فتقول مناجية الليل[2]:

يا غيم الليل

وهل كنا في اللوح سوى طين ظمآن

صافية ألمح هلاتك

تنسجني جسداً

عينين

شفتين

---

[1] القرآن الكريم، سورة النمل، الآية 44.

[2] مال الله، زكية، الأعمال الكاملة، ج2، ص 10-11.

وتعود لتسلبني خلقي

وتُهيل عليَّ الكثبان

ويظهر في المقطع حضـــور ثقافي يتمثل في الإشـــارة إلى اللوح المحفوظ، ففيه قُدِّرَتْ مقاديرُ البشـــر، وسُـــجِّلت أعمارُهم وأرزاقهم وأقدارُهم.وفي المقطع أيضـــاً حضـــور ثقافي آخر يتمثل في الإشـــارة إلى خلق الإنســـان من طين، والحضـــور الأول مرجعه إلى قوله عز وجل[1]: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (22)، والحضـــور الثاني مرجعه إلى قوله تعالى عن ذاته العلية[2]: الَّذِي أَحْسَـــنَ كُلَّ شَـــيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِنْ طِينٍ (7)

وفي هذا الحضـور الثقافي ما يوحي بأن الحب خلق مع الإنسـان منذ بدء خلقه الأول،وقد جاء المعنى في سياق ثقافة دينية، أضفت على النص التألق الفني والعمق الفكري.

وفي قصـيدة عنوانها "حين تلجها الطبقات السـبع من سموات القلب"[3] تظهر على الفور الثقافة الدينية حيث تتم الإشارة إلى السموات السبع وقصة المعراج.والقصيدة تتألف من سبعة مقاطع هي سبع سموات، إذ يحمل كل مقطع عنوانه:السـماء الأولى ثم السـماء الثانية، وهكذا حتى تبلغ القصـيدة السـماء السـابعة. والقصيدة تعبير عن استعداد قلب المرأة ووجدانها لاستقبال الحبيب، كي يعرج في سمواتها،وفي العروج يتوحد الحبيب والحبيبة والعالم،وتلغى المسافات وتذوب الثنائيات أو تتحد.

وتحفل القصيدة بظهور ثقافي متميز، قوامه الثقافة الدينية، ففي القصيدة يرد قولها[4]:

---

[1] القرآن الكريم، سورة البروج، الآيتان 21-22.

[2] القرآن الكريم، سورة السجدة، الآية 7.

[3] مال الله، زكية، الأعمال الكاملة، ج2، ص 12.

[4] مال الله، زكية، الأعمال الكاملة، ج2، ص 12.

نفذت إلى سدرة الهاوية

ولفظ السدرة مستمد من قوله تعالى[1]: عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15). ولفظ الهاوية مســـتمد من قوله تعالى[2]: وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (9) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (10) نَارٌ حَامِيَةٌ (11).وقد جمعت الشاعرة بين اللفظين،وهما يدلان في الأصل على معنيين لا يجتمعان، فالسدرة في الجنة،والهاوية في جهنم، ولكن دلالة اللفظين في النص الشعري مختلفة،فهي تقصد وصولها إلى متعة المعاناة الشعرية،فالمعاناة هي الهاوية،والسدرة هي الإبداع الشعري.

ويرد في القصيدة قول الشاعرة:[3]

القطوف تدانت

وهي إشارة إلى قوله تعالى[4]: فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23)

وتقول الشاعرة زكية مال الله:[5]

والبحر والنيل يجتمعان

ولا يجتمعان

وهو حضور ثقافي مستمد من قوله تعالى[6]: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ (20).

---

[1] القرآن الكريم، سورة النجم، الآيتان 14-15.

[2] القرآن الكريم، سورة القارعة، الآيات 8-11.

[3] مال الله، زكية، الأعمال الكاملة، ج2، ص 14.

[4] القرآن الكيرم، سورة الحاقة، الآيتان 22-23.

[5] مال الله، زكية، الأعمال الكاملة، ج2، ص 17.

[6] القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآيتان 19-20.

وفي الأشـكال السـابقة من الحضـور الثقافي يظهر حس الإبداع والتجديد، فاللفظ القرآني يحضـر في سياقات جديدة وبإيحاءات جديدة، تناسب الحالة الشعرية، ولا تتناقض مع المفهوم القرآني، وبذلك يزداد اهتمام المتلقي بالنص، ليكتشف جمال العلاقة بين النض الشعري والقرآن الكريم.

وفي قصيدة "المعراج إلى ...." تقول الشاعرة زكية مال الله[1]:

تعرج فيَّ ... إليَّ

يجتاز براقك أكوامي

تحرسك الأهداب

جناتي وارفة

اقطف ما شئت

توضأ بعبير القلب

طهّرْ أثوابك

رتّلْ أسفارك

لا تقرب تلك الشجرة

لا تتملَّ الأغصان

تضعف

يكسوك العري.

[1] مال الله، زكية، الأعمال الكاملة، ج2، ص 49.

فالنص تعبير عن الحب،وما يكون بين الحبيبين من تواصل ووصال،وقد جرى التعبير عن حالة العشق والوصال بحالة العروج،لأن في كلتيهما لقاء الحبيب بالحبيب،ثم استمر النص بالكناية عن الحالة بالجنات الوارفة، والقطوف الدانية،والوضوء وتطهير الأثواب،ثم انتهت إلى تحريم الاقتراب من الشجرة التي لا يمكن الوصول إلى كنهها وحقيقتها.

والنص غني في أعماقه بظلال من القرآن الكريم،ونفحات عطرة من الأحاديث النبوية الشريفة،ولاسيما حديث الإسراء والمعراج.ومن الآيات الكريمة قوله تعالى[1]: وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وقوله تعالى[2]: وَرَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً، وقوله تعالى[3]: وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ.

وجرى توظيف المعاني المستمدة من القرآن الكريم،في سياق جديد،للتعبير عن حالة العشق ووصال الحبيبين.

وعلى الرغم من كثافة الحضور الثقافي،فإنخ لا يرهق النص،بل يزيده ألقاً،لأن الحضور كان بمفردة واحدة، تحضر في سياق انفعالي جديد،يحقق الإدهاش،وهنا سر الإبداع.

وفي قصيدة عنوانها "تراتيل"تظهر الألفاظ الدينية، بدءاً من العنوان،وفيها تقول[4]:

شرخ في أسفارك

يا المتهجدُ في غسق الملكوت

ترتلني

---

[1] القرآن الكريم، سورة المدثر، الآية رقم 4.

[2] القرآن الكريم، سورة المزمل، الآية رقم 4.

[3] القرآن الكريم، سورة البقرة الآية رقم 35.

[4] مال الله، زكية، الأعمال الكاملة، ج2، ص 50.

لا أفقه ترتيلك

فاتحة أبواب شعورك

خاتمة أحزان خريفك

أسررتَ حديثك؟

أم ماذا أضمرت؟

نحرت شياه الرغبة في صدري

أسلت دمائي أشعاراً

نزعت تصاويري الجوفاء

وتتحدث زكية مال الله أيضـــاً عن المرأة،وما يمكن أن تمنحه للحبيب من عطايا الحب والمودة والحنان، وتشـبهها بالسـورة من سـور القرآن تتنزل على قلبه،وتبل ظمأه،وتشـفي روحه،وتهبه أنهاراً من عسـل ولبن وخمر، فالمرأة هي الجنة للرجل،وتعبر عن هذا في قصيدة "المملكة الحلم" فتقول: [1]

هي كالسورة تتنزل بين فؤادك

تستوحي من جنات الخلد

أنهاراً تطفئ غلك

وتفيض كالخمر وكاللبن وكالعسل

بين شغافك

[1] مال الله، زكية، الأعمال الكاملة، ج2، ص 468.

ثم تقول في القصيدة نفسها[1]:

أنت النار الموصدة

وهي الفردوس على أعتابك

وفي تلك التشـبيهات البديعة والجديدة تحضـر كما هو واضـح الثقافة الدينية،وهي مسـتمدة من آيات كريمات،منها قوله تعالى[2]: وَبَشِّـرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَـــابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)،وقوله عز وجلّ[3]: مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (15).

إن الحضـــور الثقافي المبدع لا يقوم على مجرد بروز كلمة من القرآن الكريم أو آية كريمة أو معنى قرآني،إنما يعيد بناء التجربة الوجدانية بالتجربة الثقافية،وتلاحم كل منهما بالأخرى،واتحادها بها،وعندئذ تكون الثقافة القرآنية والتجربة الشـعرية واحدة، فيتم التعبير عن التجربة الشـعرية بالثقافة، لا بالكلمة أو العبارة أو الآية، وإنما بالتلاحم الكلي، وهنا يكون الحضور الثقافي حاملاً لما هو مدهش ومفاجئ وجديد.

وفي قصيدة عنوانها "دياجير" تعبر زكية مال الله عن حبها للدياجير؛لأن الدياجير عندها تعني الاستيقاظ

---

[1] المصدر السابق، ج2، ص 469.

[2] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 25.

[3] القرآن الكريم، سورة محمد، الآية 15.

صباحاً، وجلاء العتمة عن الحبيب،فتقول[1]:

لأن الدياجير تصحو بصبح

تكلّم في المهد طفلاً صبياً

تدثّره بصفصافةٍ ثم تغفو

لأنك تهتك ستر الدياجير

تنقش كفَّيك بالموبقات

وتطفو على ماء قلبك

لأني أحبك

أستجير بذات الدياجير

أصبغ روحي بلون كفيف

وألتف في معضلات الهوى

فالدياجير تمنحها الصباح،ومعه الإحساس بالحب الذي رمزت إليه بطفل،وجعلت هذا الطقل يتكلم وهو في المهد.وفي المعنى حضور للثقافة الدينية مستمد من الآية الكريمة في قوله تعالى عن السيد المسيح عليه السلام[2]: وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنْ الصَّالِحِينَ (46) وهي تحب أيضاً الديايجير لأن الحبيب يواتيها فيها.

[1] مال الله، زكية، الأعمال الكاملة، ج2، ص 333.

[2] القرآن الكريم، سورة مريم، الآية 46.

والأمثلة على حضور الثقافة الدينية في شعر الدكتورة زكية مال الله كثيرة،ومن ذلك قولها في قصيدة عنوانها سقوط[1]:

في بئر الأحداق سقطتُ

تملاني أحد السَّيَّارة

أدلى دلوه

دثَّرني برفيف الهُدب

زملني بلحاء القلب

وفي قصيدة عنوانها "قبل الزوال" تقول[2]:

حيثما كنت فولِّ

وجهَكَ البائس شطري

إن الثقافة الدينية في شعر زكية مال الله منصهرة بالتجربة الشعرية،وتظهر بصورة عفوية،لأنها أضحت جزءاً من التجربة،ولم تعد مجرد زينة أو وسيلة للتعبير،إنما هي التجربة نفسها.

وقد تكون الثقافة الدينية حاضرة بصورة عامة،وليست مستندة على نص القرآن الكريم،ومن ذلك على سبيل المثال تعبير الشاعرة زكية مال الله في القصيدة السابقة عن لقاء المحبين الذي لا يروي ظمأهم،بل يظلون في اشتياق،فتستعير تعابير دينية،بها تمثل بها هذا المعنى بقولها[3]:

ركعت سجدت

---

[1] مال الله، زكية، الأعمال الكاملة، ج2، ص 56.

[2] المصدر السابق، ج2، ص 339.

[3] المصدر السابق، ج2، ص 335.

وطفت وشفت

وعدت وبي غصة من جوى العاشقين.

ومنه أيضاً تعبير الشاعرة **حصّة العوضي** عن تغنّي الشعراء بالروح ومحاولتهم استيحاء أشعارهم من القيم السامية، فتستعين بثقافتها الدينية،وتستعير لتلك المعاني ألفاظ السجود والصلاة،فتقول[1]:

سجدتْ كلماتُ الشعراء

صلَّتْ أوتارُ ربابتهم

للروح صلاة استسقاء

فالشاعرة هنا تأتي بألفاظ دينية لكنها غير مستمدة مباشرة من القرآن الكريم،إنما هي مستمدة من روح الإسلام وما فيه من أركان وعبادات،وكان حضور الثقافة الدينية لطيفاً ومناسباً للفكرة المراد التعبير عنها.

وهكذا تبدو الثقافة الدينية واضحة الحضور بكثافة في الشعر القطري،وبغزارة، ولا سيما الثقافة المبنية على القرآن الكريم،فقد جاءت الأمثلة في هذا المجال كثيرة،بالإضافة إلى أمثلة أخرى كثيرة حفل بها الشعر القطري، وهو حضور فني متميز،عدا عن كثرته، فقد كان الحضور الثقافي في بعض الأحيان واضحاً مباشراً بالمعاني القرآنية نفسها،ولكنه كان بالمقابل في أحايين كثيرة يقوم على توظيف اللفظ القرآني في سياق آخر جديد ومختلف،وأكثر أمثلته كانت عند الشاعرة زكية مال الله.

على أنه لم يغب عن الشعر القطري الحضور الثقافي المبني على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان هذا الحضور أقل من الحضور الثقافي المبني على القرآن الكريم.

ومن ذلك على سبيل المثال قول **محمد السادة** في قصيدة عنوانها "صباح الخير"[2]:

---

[1] العوضي، حصة، كلمات اللحن الأول، ص 159.

[2] السادة، محمد، بوح الحشا، ص 2.

غادرت عشـــها خِماصـــاً طيورٌ تبتـدي يـومَـهـا بـرزق مـبـاح

وهو مستمد من حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه[1]: لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا.

ويذكر الشـاعر **مبارك بن سـيف آل ثاني** أن الشـعوب كلها من أصـل واحد،ويشـير إلى آدم وزوجه، فيقول[2]:

كل الشـعوب فروعها لو أدركت مـن آدمٍ وحضـــانهـا حـواء

وفي البيت معنى مبني على ثقافة دينية مسـتمدة من أحاديث لرسـول الله صـلى الله عليه وسـلم،منها قوله[3]: "أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ".

ويندد الشاعر **علي ميرزا محمود** بدور أمريكا في البلاد العربية،ويسخر من قادتها الذين زاروا بعض البلاد العربية، فيقول[4]:

طلع البدر علينا

من ثنيات واشنطون

وجب الشكر علينا

ما دعا فينا كلينتون

---

[1] الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث 2266، وهو حديث حسن صحيح، رواه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وورد في مسند أحمد برقم 200، مروياً أيضاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

[2] مبارك بن سيف، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 107.

[3] أبو داود، سنن أبي داود، وهو مروي عن أبي هريرة، ورقمه عنده 4452، ج 13، ص 320.

[4] ميرزا محمود، علي، أم الفواجع، ص 16.

أيها المبعوث فينا

جئت بالأمر الترنتون

جئت شرفت المدينة

فانزل البيت الحرام

موطني صار جميعاً

بيتكم يا آل سام.

والشـاعر يسـخر من زيارة كلينتون لبعض البلاد العربية وما يحمل من مشـروعات،ويسـتعير لتلك السخرية النص الغنائي الذي رحَّب به أهل المدينة لدى قدوم الرسول إليهم مهاجراً من مكة،والشاعر بذلك يقلب الموقف من فرحة باستقبال الرسول إلى سخرية باستقبال كلنتون وتنديد وإدانة،مستعيناً بألفاظ النص نفسـه،وقد يبدو هذا التوظيف للنص الغنائي الذي اسـتقبل به الرسـول في الهجاء لكلينتون غير مسـتسـاغ شـعورياً،أو غير مقبول من ناحية دينية، فشـتان ما بين الزيارتين،ولكن هذا الاختلاف الكبير فيما يبدو هو سبب اختيار الشاعر للنص الغنائي،ووضعه في نسق مختلف، وهو دليل على خطورة الحدث،ومبلغ التناقض بين الموقفين،وشـدة ألم الشـاعر وغضـبه.وقد جاء في الخبر أن[1] "الرسـول لما قدم عليه السـلام المدينة جعل النساء والصبيان يقلن: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع".

وهكذا يبدو الحضـور الثقافي المتأثر بالحديث الشـريف قليلاً في الشـعر القطري،بل هو نادر،وهو أمر طبيعي،لأن المسـلمين عامة يتلون القرآن الكريم،ويتعبدون به وبه يؤدون صـلواتهم.واطلاعهم على الحديث

[1] البيهقي، دلائل النبوة، رقم الحديث 752، ج 2، ص451، وأعاده ثانية برقم 2019، ج 5، ص 351.

الشـرف أقل من ذلك،ولا يقاس بتلاوتهم للقرآن الكريم،ولا يتعرفون عليه إلا من خلال الدروس والمحاضـرات الدينية،ولا يستثنى من ذلك بالطبع إلا الفقهاء والعلماء المتخصصون.

الخاتمة:

ومهما يكن من أمر فقد اغتنى الشعر القطر بحضور واضح للثقافة الدينية المبنية بصورة أساسية على القرآن الكريم،وقد كان هذا الحضـور بحد ذاته غنياً متنوعاً،يجيء تارة واضـحاً مباشـرة،ويجيء تارة أخرى في لمح وإشـارة،وغالباً مايكون موظفاً لغرض من أغراض الحياة،فهو وسـيلة فنية للتعبير تغني الشـعر،وتزيد من استجابة المتلقي للقصيدة.

إن حضـور الثقافة الدينية في الشـعر القطري حضـور كثيف وواضـح،وهو يدل على بنية المجتمع في قطر وعلى ثقافته،كما يدل على تطور الشـعر القطري في الشـكل والمضـمون،وقد ظهرت في البداية أشـكال من الحضور الثقافي كانت أشكالاً مباشرة،ثم تطور هذا الحضور، وأصبح أكثر فنية،إذ دل على انصهار التجربة الثقافية في التجربة الشـعرية،فجاء الحضـور الثقافي ملتحماً بالنص،وحاملاً للرؤية،ولم يكن عبئاً على التجربة الشعرية.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، السنن، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، (بيروت:دار الرسالة العالمية) ط1، 2009.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي.(بيروت: دار الكتب العلمية،القاهرة:دار الريان) ط1، 1988.
- الترمذي، أبو عيسى، الجامع الكبير المعروف بـــ السنن، تحقيق: بشار عواد معروف.(بيروت:دار الغرب الإسلامي) ط1، 1996.
- آل ثاني، مبارك بن ســـيف، الأعمال الشـــعرية الكاملة، (الدوحة:المجلس الوطني للثقافة) ط2، 2008.
- آل ثاني، علي بن سعود، غدير الذكريات، ج1.(الدوحة:دار الثقافة، الدوحة) 1986
- السادة، محمد، بوح الحشا(الدوحة: مطابع الدوحة الحديثة) 2013.
- السادة، محمد، كثبان وأمواج، (الدوحة:مطابع الدوحة الحديثة) 2012.
- عبيدان، خالد، سحابة صيف شتوية، (الدوحة:المجلس الوطني للثقافة) 2001.
- العوضي، حصة، كلمات اللحن الأول، (الدوحة:وزارة الإعلام) 1988.
- مال الله، الأعمال الشعرية الكاملة، (الدوحة:المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث) ط1، 2006، ج2.
- مال الله، زكية، دوائر، (القاهرة:مركز الحضارة العربية) 2007.
- مال الله، زكية، من دونك يا أمي، 2014.
- محمد شـاكر، محمود، رسـالة في الطريق إلى ثقافتنا،(القاهرة: الهيئة المصـرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة)، 1997.
- ميرزا محمود، علي، إلى من يهمه الأمر، (الدوحة:وزارة الثقافة) 2011.
- ميرزا محمود، علي، أم الفواجع، (الدوحةالمجلس الوطني للثقافة)2004.